﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا ذكر الله تعالى في الآية السّابقة ما اقترفتْه أيادي اليهود مِن كفرهم بآيات الله، وقتلِهم الأنبياءَ بغير حقٍّ، وقتلِهم الذين يأمرون بالقِسْط من النّاس؛ بيّنَ في هذه الآية جزاءَهم على هذه الأفعال الشّنيعةِ وطبيعةَ خُسرانِهم، فمهما فعلوا من قُرُبات في الدّنيا، فهي خُسرانٌ عليهم في الدّنيا والآخرة، ولن ينصرَهم من عذاب الله ناصرٌ مهما فعلوا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَبِطَتْ﴾: الحَبَطُ وَجَعٌ يأخُذُ البعيرَ في بَطْنه من كَلأ يَسْتَوْبِلُه، أو كلأٌ تأكُله الماشيةُ وتُكْثِرُ منه حتى تنتفخَ لذلك بطونُها ولا يَخرج ما فيها فتهلِكَ، وفي الحديث: "وإنّه كُلَّما يُنْبِتُ الرَّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطًا أوْ يُلِمُّ"[1]، وحَبِطَ عَمَلُه: فَسَدَ، وحَبِط عملُ الرّجل، بكسر الباء وفتحها: عَمِل عملًا صالحًا ثمّ أفسدَه بالشّرك أو سوءِ النّيّة، وحبِطت الشّاةُ حَبَطًا: انتفخ بطنُها عن أكل الدَّرِقِ، وقيل: الحَبَطُ: الانتفاخ أينما كان من داء أو غيرِه، وحَبِطَ جلدُه: وَرِمَ، وفي التّنزيل: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد ﷺ: 9][2]، ولعلّ دلالة حَبِطَ هي فسادُ الأعمال مع كثرتِها وزيادتِها.

2) ﴿نَّٰصِرِينَ﴾: النَّصرُ الإمدادُ بما فيه زيادةٌ مناسبةٌ وقوّة، والنَّصْرُ والنُّصْرة: حُسنُ المَعونة، أو عَوْنُ المظلوم، ونَصَرَ الغَيْثُ البِلادَ: أرواها، والانتصارُ: الانتقام من الظّالم بعون المظلوم عليه، وفي التّنزيل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: 39]، ونصرُتُه على عدُوِّه ونصرُتُه منه نَصْرًا، أعنْتُه وقوَّيْتُه[3].

(1) رواه البخاري في صحيحه برقم: 2842.
(2) الخليل، العين، باب الحاء والطاء، وابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حبط).
(3) الخليل، العين، وابن سيده، المحكم، والفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (نصر).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بيّنَ الله تعالى مَصيرَ أولئك الذين اقترفوا أسوأَ ما يمكن أن تَطالَه يدُ بشرٍ في الدّنيا؛ من الكفر وجُرْمِه والقتْلِ وشناعتِه، فجاءهم الوعيدُ في هذه الآية لبيان مَصيرِهم في الدّارين بأنْ حَبِطَتْ أعمالُهم بإزالَةِ آثارِها النّافِعَةِ مِن ثَوابِ الآخِرَةِ ونَعيمِها، ومن حَياةٍ طَيِّبَةٍ في الدُّنْيا؛ لأنَّ العمل الصالح لا ينفعُ صاحبَه إلّا بسلامة العقيدة وصلاحِها، أمَّا هؤلاء فإنَّهم أَوغلوا في الفساد بقتل النَّبيِّين - إذ قَتْلُ نبيٍّ واحدٍ كقَتْلِهم جميعًا - وبقَتْلِ الذين يأمرون بالعَدْلِ والرُّشد، فلن يجدوا لهم يومَ القيامة ناصرًا من عذاب الله، ولا حاميًا يَدْفعُ عنهم من نِقْمته[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة التّعبير باسم الإشارة للبعيدِ:

في اسم الإشارة من معنى البُعد في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ للدّلالة على تَرامي أمرِهم في الضّلال وبُعدِ منزلتِهم في فظاعة الحال؛ وعلى تميُّزِهم بهذه الأفعال التي دلّت عليها صِلةُ الموصول أكملَ تمييزٍ، وللتّنبيه على أنّهم أحقّاءُ بما سيُخبَرُ به عنهم بعدَ اسمِ الإشارة؛ أي أولئك المتّصفون بتلك الصِّفاتِ القبيحة أو المبتَلَونَ بأسوأ الحالِ هم الذين بطَلتْ أعمالُهم التي عمِلُوها، ولم يبقَ لها أثرٌ في الدّارين؛ بل بقيَ لهم اللّعنةُ والخزيُ في الدّنيا، وعذابٌ أليم في الآخرة[2].

بلاغة الإخبار بالاسم الموصول دون الفعل:

جاءَ الخبرُ اسمًا موصولًا في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ إذ هو أبلغُ من الخبر الفعليِّ، ولأنّ فيه نوعَ انحصارٍ، ولأنّ جعْلَ الفعلِ صِلةً يدُلُّ على كونها معلومةً للسّامع، معهودةً عنده، فإذا أخبرتَ بالموصول عن اسم استفاد المخاطَبُ أنّ ذلك الفعلَ المعهود المعلوم عنده هو منسوبٌ للمخبَر عنه بالموصول، بخلاف الإخبارِ بالفعل، فإنّك تُخبر المخاطَبَ بصدوده عمَّن أخبرتَ

الإخبارُ بحبوطِ الأعمالِ فيه تبكيتٌ وتحسيرٌ مؤلمٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/207.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/22، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/207.

به عنه، ولا يكون ذلك الفعلُ معلومًا عنده، فإنْ كان معلومًا عنده جعلتَه صِلةً، وأخبرتَ بالموصول عن الاسم[1]، فجيءَ بفعل ﴿حَبِطَتْ﴾ لبيانِ أنَّهم معلومون بهذه النَّتيجةِ، وهي أنَّ أعمالَهم قد حبطَتْ بعد أن قُبلَت، ففيه مزيدُ تبكيتٍ لهم، وتحسيرٍ واقعٍ عليهم.

بلاغةُ المجازِ بالحذفِ أو المجازِ المرسلِ في لفظِ الأعمال:

إطلاقُ الأعمالِ وإرادةُ بعضِها مبالغةٌ في بيانِ الحبوطِ

الأعمالُ في قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، إمَّا أن يُرادَ بها الأعمالُ التي يتقرّبون بها إلى اللّه تعالى ويرجُون ثوابَها، بقرينة أصلِ المادّة ومَقام التّحذير؛ لأنّه لا يُتَصَوَّرُ إبطال الأعمال المذمومة، وما ذُكرت الأعمال في القرآن مع حَبِطَت إلّا غيرَ مقيّدةٍ بالصّالحات اكتفاءً بالقرينة[2]، فيكون في الآية حذفٌ، والتّقديرُ: الأعمال الصّالحة في نظرهم التي يتقرّبون بها إلى اللّه، أو يكون المرادُ بها بعضَ الأعمال، فتكون مجازًا مرسلًا علاقتُه الكُلّيّة؛ فقد أَطلق عمومَ الأعمالِ وأراد بعضَها، للمبالغةِ في بيانِ حبوطِها.

فائدةُ التّمثيلِ في قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾:

وجوبُ المحافظةِ على الصَّالحاتِ، كي لا تفسدَ بالموبقاتِ

حَبَطُ الأعمالِ إزالةُ آثارِها النّافعةِ من حياةٍ طيّبة في الدّنيا وثوابٍ ونعيم في الآخرة، وإطلاقُ الحَبَطِ على ذلك تمثيلٌ بحال الإبلِ التي يُصيبها الحَبَطُ، وهو انتفاخٌ في بطونها من كثرة الأكلِ يكون سببَ موتِها، في حين أكلتْ ما أكلتْ للالتذاذِ به[3]، فالتّعبيرُ بالحبطِ دليلٌ على أنَّ ما يكون نافعًا تجب المحافظةُ عليه، كي لا يأتي ما يُفسِدُه ويجعله غيرَ معتدٍّ به.

وقيل إنّ التّركيب في قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ مجازٌ عقليّ باعتبار أنّه قد أُسند فعلُ (حَبِطَ) إلى غير فاعلِه وهو ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/78.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/333.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/207.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/78.

فنُّ الطِّباقِ بين لفظي الدُّنيا والآخرة:

بيـانُ شُـمُـولِ فسادِ الأعمالِ الصَّالحةِ ترهيبًا وتحذيرًا

بين لفظي ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ طِباقٌ يدُلُّ على الشّمول؛ فتشمَل جميعَ أعمالِهم، وكلَّ أحوالِهم، فلا يُحمَدون عليها في الدّنيا، ولا ثوابَ لهم في الآخرة، وأفاد الطِّباقُ معنًى جديدًا لذلك التّمثيل بين حالِ الإبلِ المريضة بهذا المرض الخطير الذي يؤدّي إلى قتلها، وبين أولئك الذين يقتلون الفضيلةَ، ويقتلون من يأمر بها وينشرها، فهم بقتلهم يتلذّذون كما يتلذّذ الجائعُ في إقباله على الطّعام، وهم بقتلهم يقتلون أنفسَهم وما يشعرون كما يقتل الجملُ نفسَه بكثرة الأكل، فهم يقتلون الحياةَ كلَّها، ووجهُ الشّبه بين الحالتين متعدّدٌ[1].

بلاغة الجمع والمقابلة في ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ودلالتُها على الشّمول:

مَجيءُ الجمعِ في ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾؛ لأنّه بإزاء شُفعاءِ المؤمنين من الملائكة والأنبياء وصالحي المؤمنين؛ أي: ليس لهم كأمثال هؤلاء، ومعنى انتفاءِ النَّاصرين انتفاءُ ما يترتّبُ على النّصر من المنافع والفوائد، وإذا انتفتْ من جمعٍ فانتفاؤها من واحد أَولى؛ أي: إذا كان جمعٌ لا ينصُر فأَحرى أنْ لا ينصُرَ واحدٌ، ولرعاية ما وقع في مقابلَتِه، لا لنفي تعدُّدِ الأنصارِ من كلِّ واحدٍ منهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٠﴾ [البقرة: 270] إذ تقدّم ذكرُ معصيتِهم بثلاثة أوصاف؛ فكان جزاؤهم ثلاثةَ أشياءَ ليقابَلَ كلُّ وصفٍ بمناسبه، فالكفرُ بآيات الله أعظمُ، والتّبشيرُ بالعذاب الأليم أعظمُ، وقابَلَ قتلَ الأنبياءِ بحُبوط العمل في الدّنيا الآخرة بالعقاب الدّائم، وقابَلَ قتلَ الآمرين بالقِسْط بانتفاء النّاصرين عنهم إذا حلَّ بهم العذابُ، كما لم يكن للآمرين بالقِسْط مَن ينصرهم حين حلَّ بهم قتلُ المعتدين، كذلك المعتدون لا ناصرَ لهم إذا حلّ بهم العذابُ[2].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/78.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/77 - 78، والآلوسي، روح المعاني: 2/106.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»